مقدمة لكتاب « فيلسوفي »

برتراند رسل

الفيلسوف الانجليزي المعاصر

للأستاذ عبد الجليل السيد حسن

تتمة ما نشر في العدد الماضي

فلسفته :

لا نظنك ظانا أننا آخذون في تفصيل فلسفة برتراند رسل ، في هذا المكان ، بل حتى ننأى بك عن أن تظن أننا آخذون في إجمالها لك الآن ، وأنت تعرف من دون شك أن هذا الفيلسوف قد جال في ميادين عدة ، كل ميدان منها يحتاج إلى فزوروتذليل ، فأنت تعرف أنه فيلسوف قبل كل شيء ومنطق ، بل إمام في المنطق ، وصاحب مذهب جديد فيه ، ثم هو عالم رياضي من الرعيل الأول وكاتب اجتماعي وأخلاق وصاحب آراء في التربية ، وهو في كل ذلك نسيج وحده ، يتناول كل شيء بعقله الخاص وذهنه العجيب . فهو حر إلى أبعد حدود الحرية ، يمقت الاستعمار ويزدريه . ويرى أن بريطانيا بدون مستعمرات وإمبراطورية ، تكون أسعد مما هي عليه الآن ، وامل في ذلك أثراً من جدته ، ثم هو يبغض الألقاب والمزايا الوراثية ويسخط عليها مع أنه سليل اللوردات أرستقراطي الأصل

وإن مفتاح فلسفة رسل هو الفكر الحر والنظر العقلي البحت والاطمئنان إلى ما يطمئن إليه العقل ، والنفور مما لا يتفق معه ، ولاشك أن عقلا هذه طبيعته وذهنا هذه خصائصه ، لا بد أن يتجه إلى الرياضة ، فهو مثال العلم العقلي الدقيق ولكن عقلا جبل على النظر الحر لا بد أن يستقرىء ويتعمق حقائق الرياضة . فقاده ذلك إلى القضايا الأولية التي تتركب منها الرياضة ، ولكن هل الرياضة هي الوحيدة التي لها هذه الميزة وهذه القضايا . ؟ لا ، إن هناك علماً آخر هو المنطق ، علم النظر العقلي الدقيق أيضاً ؛ فليدرس المنطق ، ولكنه يجد أن المنطق يتكون من بديهيات عقلية هي أساس للحقائق الرياضية ، إذن فالرياضة والمنطق أساسهما واحد ؛ بل إن الرياضيات والمنطق الصوري شيء واحد ، وفي مقدور العقل أن يستنتج كل حقائق الرياضيات من عدد صغير من البديهيات المنطقية ؛ إذن فلا بد للعقل أن يسير بهدى هذا المنطق ، ولكن ليس هو المنطق القديم العقيم . وقد اتخذ رسل طريقة قويمة هي طريقة التحليل المنطق ، وكان أعظم ما عمله رسل هو تخليص التحليل المنطقي من سيطرة النحو التقليدي ، فإن المعنى النحوي لجملة من الجمل لا يؤدي المعنى المنطقي لهذه الجملة ، فحينما نقول : « إن وحيد القرن (١) غير موجود حقيقة » فهذه الجملة ليست من نوع الجملة التي تماثلها من الناحية النحوية وهي « إن الأسود غير وديعة » فالجملة الأخيرة تعني أن هناك حيوانات معينة اسمها الأسود تنقصها صفة معينة وهي الوداعة ، ولكن الجملة « وحيد القرن غير موجود » لا تعني أن هناك حيوانات اسمها وحيد القرن وتنقصها صفة الواقعية ، لأنه ليس هناك مثل هذه الحيوانات حتى تكون هناك مثل هذه الصفة

إن أهم شيء في فلسفة رسل هو منطقه وآراؤه فيما بعد الطبيعة والأخلاق والطبيعة ، والعلاقة بين المادة والعقل ، ويمتاز رسل بتحليله المنطق العميق وهو يحب أن لا توضع فلسفة في صف الفلسفة المثالية أو الواقعية ، بل يفضل أن توصف بأنها « منطقية ذرية » (Logical Atomism) لأن الشيء الذي يميز كل دراساته هو استخدامه للتحليل المنطقي كطريقة ومنهاج ، واعتقاده أنه بهذه الطريقة يستطيع أن يصل إلى رأي مقبول في طبيعة المادة فالمادة مكونة من ذرات وبتحليله المادة تحليلا منطقيا يستطيع الوصول إلى حقائق ووقائع ذرية

---

(١) هو الحيوان الخرافي الذي يسمى (Unicorn) ويقال إن له جسم الحصان ورأس الغزال وقدم الفيل وذيل الأسد ويخرج من وسط جبهته قرن أسود ذو شعبتين وهو غير وحيد القرن المعروف بالخرتيت

والذى يجدر بنا الإشارة إليه الآن هو رأى رسل فى المعرفة لأنه بمثابة العمود الفقرى من فلسفته فيقول رسل (٢) « إن كل حقائق معرفتى عن العالم الخارجى هى حوادث (events) فى عقلى » (ص ١٧٦) ويوضح ذلك فيقول « إن ما أعرفه بدون استنتاج حينما أكون فى حالة ، ولكن « رؤية الشمس » ليس هو الشمس بل حادثة عقلية فى نفسى ، وأنا لا أشعر بالوائد والكراسى الموجودة الآن ، بل إن ما أحس به هو تأثيراتها المعينة فى ، وإن موضوعات الإدراك الحسى التى أعتبرها « خارجية » بالنسبة إلى مثل السطوح الملونة التى أراها ليست خارجية إلا فى فراغى الخاص الذى يتوقف عن الوجود حينما أموت » (ص ٢٢٥)

« وحينما يقال إنى أرى المائدة فإن الذى يحصل حقيقة هو أنى أحس بإحساس مركب يشابه — باعتبارات معينة — فى بنائه المائدة الطبيعية » فالإنسان حينما يرى المائدة لا يرى المائدة ، بل إنما يرى منها لونها وشكلها ، وإذا لمسها أحس بها ، ولكنه لا يرى اللون أو الشكل حقيقة بل كل ما يحدث أن يؤثر الإشعاع اللونى على بصره وأنه لا يرى الشكل كاملا مستطيلا أو مستديراً مثلا بل يراه من جهة واحدة ، ثم هو الذى يعطى له الشكل المستطيل أو المستدير ، وحينما يلمسها فكل ما يحدث أن يتأثر احساسه تأثيرات خاصة « فلسنا نرى حقيقة الموضوعات الطبيعية بشئ أكثر من سماعنا للموجات الكهرطيسية حين سماعنا للراديو » (ص ٣١١)

والأمر الرئيسى فى هذا القول هو أننى حينما أرى شيئا وليكن مائدة مثلا فإن إدراكى الحسى هذا هو حادثة فى عقلى أنا ، ولكن ما هو الإدراك الحسى ؟

يجيب رسل عن ذلك بأنه — كما يستعمل اللفظة — ما يحدث حينما يرى شيئاً أو يسمع شيئاً أو حينما يعتقد فى نفسه أنه أصبح يشعر بشئ خلال حواسه

---

(٢) رأى رسل فى المعرفة معروض فى كتابه الذى ظهر سنة ١٩٤٨ وعنوانه « المعرفة الإنسانية ، مداها وحدودها »

وأما آراؤه فى التربية فهو يرى أنه ينبغى أن تعالج التربية فى السنوات الأولى من الطفولة لأنه بعد سن السادسة تقريباً يكون قد تكون لدى الطفل عادات وميول بها يسهل قياده فى الطريق الصحيح المراد أن يسلكه ، فنحن نستطيع أن نشكل ونوجه غرائز الطفل وقواه فى سنواته الأولى إلى ما نريده من تربيته . والطفل ليس شريراً أو خيراً بفطرته ؛ بل إن الذى يحوله إلى الخير أو الشر هو التوجيه التربوى القويم أو المعوج فى السنوات الأولى ، ويهدف من التربية إلى خلق أناس يتوفر لديهم من النشاط والحيوية والشجاعة وعدم الخوف والذكاء وسعة الأفق واتساع العقلية الشئ الكثير . ولا بد من الحرية والفكرية وتشجيع الغريزة — لدى الشباب — إلى مناقشة كل أمر ، والإيمان بأن المعرفة يمكن تحصيلها ، وأنها ليست مستحيلة وإن كانت صعبة فى بعض الأحيان

ومن المفيد أن يربط بين العلم النظرى والحياة العملية وتبين فائدة العلم النظرى فى الحياة للأطفال ، وليس معنى ذلك إهمال العلم المحض ، فهناك علوم لها قيمة كبرى بغض النظر عن تطبيقاتها العملية

ولنستحضر أمام أعيننا أن الحياة السعيدة هى تلك الحياة التى يقعم جوانبها الحب ، ولكنه ليس حبا تقوده أمور اعتباطية ، بل هو الحب الذى تقوده وتدير رحاه المعرفة والعلم ، فمعرفة بدون حب تؤدى إلى هلاكنا ، وحب بدون معرفة يؤدى إلى هلاكنا أيضا

* * *

وهل هناك من إله ؟ يقول رسل أن لا ! وإن كان هناك إله فهو إله محدود ، وليس ببعيد أن يقول ذلك فهو الذى يقول إن الإنسان وحش وإله . وليس هناك من إله مطلق القوة والقدرة بالصفات التى يعتقدها المتيحيون فى الله ، لأن الله لو كان مطلق القدرة ما خلق هذا العالم الناقص . وقد برهن ليبنتز على أن الشر من الضرورى أن يوجد فى العالم لكى يكون من الممكن إظهار خير أعظم منه ولكن ليبنتز لم يلاحظ أن نفس الدليل يثبت أيضا وبنفس القوة أنه من الضرورى وجود الخير لكى

يكون من الممكن إظهار شر أعظم منه ، ولو أن عالما سيئا بعض السوء قد خلقه إله مطلق الإحسان، فإن عالما خيراً بعض الخير قد يكون الذى خلقه شيطان مطلق الشر، وكلا الدليلين يبدوان أنهما محتملان عند رسل ، ويكفى أنهما محتملان وليسا بيقينيين فى الرد عليها

* * *

ونختتم الآن هذا العرض الموجز لحياة رسل ، وطرفا من فلسفته بنقل تجربة عاناها برتراند رسل نفسه وسجلها فى أحد كتبه (٣) قال « إنى لم أولد سعيدا ... وفى سن الخامسة تفكرت فى أننى لو عشت إلى السبعين أكون فقط قد تحملت إلى الآن جزءا من أربعة عشر جزءا من حياتى وشعرت أن الشقاء الطويل المدى الذى أمامى مما لا يمكن تحمله ، وفى المراهقة مقت الحياة وكنت على شفا الانتحار الذى لم يمنعنى منه إلا رغبتى فى أن أتزود أكثر من الرياضيات . والآن فإننى على العكس أتمتع بالحياة ، وبالأحرى يجب أن أقول إننى أتمتع بها أكثر بمرور الأعوام ، وهذا راجع نوعا ما إلى توفيقى فى اكتشاف الأشياء التى أرغب فيها أكثر ، وقد حصلت على كثير منها تدريجا ، وهذا راجع إلى نجاحى فى طرد أشياء ـ كانت موضع الرغبة ـ مثل الحصول على معرفة حقيقية لا تقبل شكا عن شئ أو غيره ـ لأنها من المحال إدراكها ، ولكن هذا يرجع فى الغالب إلى التقليل من محاسبة نفسى، فقد كنت كالآخرين الذين تلقوا تربية جافة (حنبلية) كثير التأمل فى خطاياى وحماقاتى وتقصيرى وبدوت لنفسى ـ ومن دون شك كان ذلك صادقا ـ مثلا تعسا ، وبالتدريج تعلمت أن أكون قليل الاهتمام بنفسى وبتقصيرى، وأخذت أركز انتباهى بازدياد نحو الموضوعات الخارجية : حالة العالم ، الفروع المختلفة للمعرفة ، والأشخاص الذين أشعر نحوهم بحب . وحقا إن الاهتمام بالأشياء الخارجية له ألمه المحتمل : فقد يشتبك العالم فى حرب ، وقد تكون المعرفة من الصعب الحصول عليها فى بعض النواحى ، وقد يموت الأصدقاء ، ولكن الآلام من هذا النوع لا تقضى على القيمة الجوهرية للحياة كهذه الآلام التى تصدر عن النفور مع النفس ، وكل اهتمام خارجى يوحى ـ مادام الاهتمام فعالا قويا ـ بشئ من النشاط الذى يعتبر وقاية تامة من السآمة والضجر ، وعلى العكس من ذلك لا يؤدى الاهتمام بذات الشخص إلى نشاط من النوع المتزايد »

والآن لندع رسل يحدثنا عن عقيدته وقد عرضها فى كتابه هذا الصغير (٤)، وهو على رغم صغره أحد المراجع الهامة فى فلسفة رسل، وميزة الكتب الصغيرة أنها تعرض المؤلف وعقيدته الخاصة لأنه ليس هناك من مجال لعرض آراء غيره والمناقشات الطويلة التى لا يعرف منها رأى الكاتب إلا بعد طول عناء

الكلام بقية

عبد الجليل السيد حسن

11, 18 19 The Conquest of Happiness

٣٦ . ٤٥

(٤) ـ ظهرت الطبعة الأولى فى مارس سنة ١٩٢٥ وظهرت الطبعة الثامنة فى يناير ١٩٣٣ وعنها الترجمة ، وقد ظهرت هذه الطبعات فى سلسلة « اليوم والغد » ، وعنوان الكتاب الأصلى (What I Believe)

إعلان

تعلن كلية الزراعة بالجيزة عن وجود وظيفة أستاذ لكرسى الاقتصاد الزراعى من الدرجة الثانية خالية بها وأنها ترغب فى شغل هذا الكرسى بمن تتوفر فيه الشروط المنصوص عليها فى لوائح الجامعة بشرط أن يكون له أبحاث علمية قيمة مبتكرة

فمن يرى فى نفسه توفر الشروط المطلوبة فليتقدم بطلبه على الاستمارة ١٦٧ ع . ح . برسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الزراعة بالجيزة فى ميعاد غايته أسبوعين من تاريخ النشر والموظفين تكون طلباتهم طريق المصالح التابعين لها ٨٣٨٠